

الرأسمال الثقافي ودوره في التنمية

د/أوراغي أحمد

كلية الآداب و العلوم الانسانية

والعلوم الاجتماعية-جامعة تلمسان-

Abstract :

ملخص :

This paper addresses the concept of « cultural capital ». It may be observed that, culture in the economic locus has been exposed in a wide range as, a field of investigation that serves economic research, raising the debate about the question of value and nature of cultural goods, their consumption and exchange. In this paper , we tend to present culture, as a vital process that contribute in the industry of a new form of capital embodied through cultural practices ,that are meant to carry human heritage through time. We stress the importance of preserving such process, by means of anthropological understanding of the connections between cultural product, consumption and, value. We underline the economic dimension of cultural goods, as we identify the notions of cultural value and economic value. Then, some contributions are selected in the definition of cultural capital. The paper concludes with some suggestions for further theoretical and empirical research.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على المفاهيم التي يحملها محور "رأس المال الثقافي" Cultural Capital كأحد المضامين الأنثروبولوجية الاقتصادية. هدفنا هو إلقاء الضوء أكثر على مفهوم رأس المال الثقافي و تناوله كمعطى إنساني المتمخص عن ذلك التراكم الذي تكمن أهميته في كون أن تدفقه قائم بذاته و دائم لتعلقه بموروثات ثقافية إنسانية. لكن قبل أن نشرع في فحص مفهوم رأس المال الثقافي ، نحاول أن نلمس بعض المعالم التي تقودنا إلى ذلك ،فلا بد من تشخيص الفهم الأنثروبولوجي للاقتصاد أولا ، و منه يتسنى لنا التعرف على الأبعاد التي تتناولها الأنثروبولوجيا الاقتصادية بشكل عام ، ثم نقترح بعد ذلك عرضا عن البعد التبادلي للمظهر الثقافي و ماهية الإنتاج الثقافي و القيمة التي تحملها المواد الثقافية ذلك لارتباطهما بشكل مباشر بمفهوم رأس المال الثقافي. و يوطد هذا المضمون بإدراك العلاقة القائمة بين القيمة الثقافية و القيمة الاقتصادية. بعد هذا التأسيس، يتسنى لنا إدراج مختلف المساهمات التي تعرف بمفهوم رأس المال الثقافي و تشخص بعده الاجتماعي و الثقافي و تصف لنا البعد البشري و التنموي الذي يشغله. و أخيرا ينتهي هذا البحث بخاتمة تحتوي ملخصا و توصيات بخصوص أفق البحث في هذا المجال المهم نظريا و تطبيقيا.

مقدمة :

لقد جاء التناول الأنثروبولوجي للثقافة باعتبارها مستوى يفرض نفسه على الفكر الاقتصادي بعد إدراك أهمية المستوى الثقافي بما يحتويه من مظاهر و بما يفرضه من ممارسات ، كرافد حيوي و مورد جوهري أمام الموارد الأخرى التي تشارك في عملية التنمية ، و أصبحت الممارسة الثقافية و الفكرية ، و الحيز الذي يضم الكفاءة و خبرة الأفراد و مستواهم المعرفي أفقا استثماريا جديدا بالنظر إلى ديمومته، ذلك بحكم ما يحققه من إشباع مادي و معنوي على مستوى الأفراد ، و بحكم ما يساهم به من تنمية و دخل على مستوى المجتمع بصفة مستدامة ، و كنتيجة لذلك ، قامت الأبحاث المثمنة لهذا الإطار خلال العقود الماضية متناولة أطروحات شتى تتناول أهمية الوازع الثقافي في الوسط الاجتماعي التبادلي .

إن هذا التناول يؤدي إلى التساؤل عن ماهية النموذج الذي يتجلى من خلاله المظهر الثقافي كمعطى اقتصادي و عن علاقة العناصر الأنثروبولوجية الثقافية بالوازع القيمي التبادلي . إن الطرح الأنثروبولوجي لم يستعجل تشخيص هذه العلاقة بإجراء إسقاطي للمستوى الثقافي و مظهره الإنتاجي بمتغيرات النموذج الاقتصادي تبعا لما تفرضه النظرية الاقتصادية ، و لكن يقوم هذا التشخيص ،في البداية ، على أساس فحص مستوى القيمة الثقافية و ما تفرزه من مظاهر مادية و غير مادية ، و كيفية الانتقال من القالب الذي تؤطره المكونات الثقافية إلى القالب الذي تؤطره المبادئ الاقتصادية ، و طبيعة التفاعل بين القالبين تعكس وجود عملية إنتاجية لها شروطها من رأسمال و وسائل إنتاجية. و إن ما يعتبر من مكونات ثقافية ذات بعد إنتاجي و قيمة اقتصادية إنما تتحدد بذاتها كرأسمال ثقافي. من هنا يمكن القول أنه بالموازاة مع ما هو مورد اقتصادي مادي ، نجد مستوى الثقافة يشغل حيزا هاما في الدرس الأنثروبولوجي الاقتصادي باعتبار هذا البعد كرأسمال جديد رغم درجة التعقد التي تطرح منهجيا في صياغة هذا البعد الذي تزود فيه العناصر المشاركة في تكوين رأس المال الثقافي بين أنثروبولوجية و اقتصادية بحتة. سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على المفاهيم التي يحملها محور "رأس المال الثقافي" كأحد المضامين الأنثروبولوجية

الاقتصادية. لكن قبل أن نشرع في ذلك لا بد من تشخيص الفهم الأنثروبولوجي للاقتصاد و منه يتسنى لنا التعرف على الأبعاد التي تتناولها الأنثروبولوجيا الاقتصادية بشكل عام ، ثم نقترح بعد ذلك عرضا عن البعد التبادلي للمظهر الثقافي و ماهية الإنتاج الثقافي و القيمة التي تحملها المواد الثقافية لتعلقهما بشكل مباشر بمفهوم رأس المال الثقافي. هذه المضامين تساعد إدراكنا للعلاقة القائمة بين القيمة الثقافية و القيمة الاقتصادية . ثم ندرج بعد ذلك مختلف الرؤى التي تأسس لمفهوم رأس المال الثقافي و تصف لنا البعد التنموي الذي يشغله. و أخيرا ينتهي هذا البحث بخاتمة تحتوي ملخصا و توصيات بخصوص أفق البحث في هذا المجال المهم نظريا و تطبيقيا .

1 - البعد التبادلي للمعطى الثقافي: قبل الشروع في الحديث عن البعد التبادلي للمعطى الثقافي الناتج عن ممارسات الأفراد التي تظهر في شكل الحرف التقليدية و شتى الأنشطة ذات المرجع الثقافي، نرى أنه من الضروري بداية تقديم الخطوط العامة التي تنسج العلاقة بين الوازع الثقافي و بعده الإقتصادي أو التبادلي و قيمته كرأس مال . هذا يستدعي التعرض إلى المسار الذي تأخذه دراسة هذه الثنائية من الجانب المنهجي من جهة، و يستدعي كذلك الوقوف على المفاد الذي يتناوله الطرح الأنثروبولوجي في هذا الإطار، إذ يمكن القول بأن جل الأدبيات التي تتناول نقاط تقاطع الحيز الاقتصادي بالحيز الاجتماعي- الثقافي، تركز في طرقها لموضوع "رأس المال الثقافي" على الحثيات الاقتصادية التبادلية و تقدمه بطريقة تخدم النظرة الاقتصادية البحتة أكثر من شيء آخر، و هذا كثيرا ما أبقى الطرح الثقافي الأنثروبولوجي في الخطاب الاقتصادي فقط كأحد المتغيرات في الدراسة الإمبريقية التسويقية . و هذا بدوره يطرح تحد منهجي ، بحيث أن العمل على تشخيص " رأس المال الثقافي" يأخذ مسارا تطبيقيا يخضع للتصور الذي يبنيه الاقتصاديون و الذي يكتفي ، في الغالب ، بالمظهر الثقافي كحدث مفسر أو معطى يدخل ضمن المتغيرات التي توظف في الدراسات الإمبريقية ، أكثر من توظيفه التفسير الأنثروبولوجي لمعرفة وظيفة المظهر الثقافي في التأثير على نمط سلوك الأفراد في حياتهم التبادلية اليومية في الزمان و المكان، و منه تأطير المظهر الثقافي في المجال التبادلي و الاقتصادي كمعطى إنساني. و بشكل آخر فإن التعامل مع المعطى الثقافي من

المنظور الاقتصادي هو التعامل مع الحثيات الثقافية المتصلة بعملية الإشباع على أنها عنصر يمكن أن يكون دورا هاما في تحقيق غايات اقتصادية تتضمنها عمليات شتى من ذلك عملية القطع التسويقي segmentation و يمكن أن يأخذ اعتبارا في إستراتيجية تسويقية و في إصدار إعلان Advertising ، أو تصميم علامة تجارية Branding ، الخ ، كل هذا يدل في الأخير أن العنصر الثقافي - في الزاوية الدراسية الاقتصادية - هو حامل قيمى يتعامل معه بمنطق سميولوجي ليستثمر من أجل تحديد وظائف تجارية بواسطة أدوات تأثير حسية Sensorial و ذلك لغاية خلق المنفعة و الإشباع و تحقيق الربح . كما أن إدراج وازع القيمة الثقافية كحد اقتصادي يستفز إلى حد ما الطرح العقلاني Rationalisation ليبقى التساؤل عن مدى إمكانية نمذجة التداخل القائم بين المادي و اللامادي ، بين الظاهرة الفنية الإبداعية و زمنها و العمل التقني الإنتاجي و الزمن الذي يأخذه ، و بين الصورة الموروثة - التي لا توطرها شروط النوعية المطبقة - و العمل الجاهز من أجل الاستنفاد ، بين "المنتج- المستهلك" بدافع الإشباع الثقافي، وبين "الزبون- المستهلك" بدافع الحاجة و ما يحققه المنتج النهائي من منفعة من جهة أخرى . و هذا بذاته يجعل المتعامل مع الطرح الثقافي- الاقتصادي أكثر تركيزا على الناتج و القالب الذي يأخذه و القيمة النقدية التي تحدد ثمنه أكثر من المرجعية التي تكونه و الوظائف التي تنبثق عنه على مستوى الفرد و الجماعة . و لعل هذا التفاوت يعكس حرجا منهجيا في مهمة الضبط الموضوعي للنسق الرابط بين الإشباع المادي لدى الفرد و ما يترتب عنه من متعلقات بالمستهلك كالقدرة على الاقتناء أو الشراء Purchasing power الكمية و الطرف الدافع أو الحاجة، و الإشباع الثقافي و ما يتبعه من بعد تعبيري - أن يكون المنتج حاملا لوازع فكري ، تواصلية - أي أن المنتج الثقافي ذو بعد سميولوجي أيقوني، فهو يحمل رسالة متوارثة مضمون إما لغوي أدبي أو إنشائي كنوع البناء ، أو نقل لتقنيات و أشكال كالأشياء الناتجة عن الحرف التقليدية . و كذلك ما يتبع المنتج الثقافي من متعلقات بالفرد - كمستهلك ثقافي كمدى الرغبة في تسديد الثمن - Willing to pay (WTP)، الوعي بالقيمة الفنية و التعبيرية، أي إما أن يكون المستهلك فنانا أو متذوقا للفن ، و القيمة العرفية و وازع التقديس . إن التوجه الأنثروبولوجي في التعامل مع النسق الثقافي الاقتصادي يجعل من فهم المظهر الثقافي

وظائفه يقوم كمرجعية و أساس في توجه الإنسان و تفاعله مع الآخر لتحقيق حاجاته وإشباع رغباته المادية و اللامادية . فالمقابلة تبدأ عند صياغة فهم للإطار الذي يضم عناصر كالإنتاج، العمل، التوزيع و التبادل ، و عامل التضامن. يعتبر الإنتاج كعملية متداخلة مع النظم الاجتماعية للأفراد (K Polanyi ، 1957) و هو الأمر الذي يؤكد "ماكس فيبر" الذي يرى أن الرغبة في تحقيق الربح لا تشكل في حد ذاتها دافعا للإنتاج و يرى بأن العمل ، باعتباره وظيفة اجتماعية ، هو جزء من الواجبات التقليدية المنظمة للمجتمع و المحافظة على تماسكه و ثبات العلاقات الموجودة بين أفراد P. Bourdieu (1977) ، ذلك لأن طبيعته تتمثل في كونه جماعي مولد لنسيج تقوى في ظله العلاقات الاجتماعية ، و في هذا الصدد يلاحظ "بورديو" أن هذه العلاقات المتماسكة تتعرض إلى التدهور إذا ما أدخل عليها اقتصاد السوق أو المعايير المؤدية إلى الملكية الفردية A. Sayed (1964) و هذا التدهور يعتبره "بورديو" كنتيجة تفكك القيم و المعايير التي تتولى توجيه الفعل الاجتماعي لصالح الجماعة ، و ضبط السلوك. و زيادة على ذلك فإن العمل لدى الشعوب التقليدية يقوم على شكل نظام تحت Sub-system من النظام الاجتماعي هو عامل محقق لمتطلبات جماعة باعتبار أعرافها خلال النشاطات المختلفة من إنتاج ، تبادل و مقايضة أو استهلاك ، فنشاط الإنتاج هو نشاط منظم و مضبوط بمعايير تقنية و معايير اجتماعية تنظم بدورها العلاقات بين أفراد الجماعة والحفاظ على العلاقات العائلية كالقرباة و المصاهرة . فالعمل الجماعي هو نشاط ثقافي متقيد بنطاق أعراف الجماعة ، و بالنظر إلى هذه الطبيعة التقليدية و الشروط التي تفرضها يظهر بأن إطار الاقتصاد الكلاسيكي بفهم آدم سميث (David G , 1984) لا يمكن أن ينطبق على اقتصاد المجتمع التقليدي حيث لا وجود للفائض و التراكم و تنعدم فيه تلك السمة المميزة للمجتمعات المعاصرة (المنفعة الذاتية) التي أدت إلى "إخلال التوازن البيئي كالتلوث و الانقراض الحيواني و النباتي وكذلك بسبب الغريزة الأنانية في تحقيق الملكية الفردية التي أدت إلى تدهور علاقة الإنسان مع ذاته و مع أفراد مجتمعه و كذا مع محيطه الطبيعي (Allain D ، 1990)، و يعتبر الأنثروبولوجيون أن انعدام ذهنية التراكم و التنافس عند المجتمعات التقليدية ليس مؤشرا على الانحطاط أو على سلوك غير عقلاني بل هو نوع من المراقبة الواعية التي تفرضها هذه المجتمعات على

نفسها من أجل ثبات تماسكها و وحدتها ، هو سلوك منطقي لأن الغاية المنشودة لا تتعارض و قيم الجماعة و الوسائل المستخدمة تخدم أساسا هذه القيم و استمراريتها . مثل هذه المجتمعات ليست في حاجة لقوانين السوق لتسويق منتوجها ولا تدخل خارجي يضمن استقرارها فمبادئ الاتحاد والمشاركة الجماعية كفيلة بهذا ، نذكر من بينها "منطق الهبة الذي يعتبره مارسال موس الطريقة البدائية لتحقيق الأمان أو كما بينه كل من" مالبينوفسكي" و"بوواس" على أنه نمط التبادل المعمول به عند هذه المجتمعات ،و الذي تتميز به مجتمعات ذات التضامن الميكانيكي الذي أشار إليه "دوركايم"، إذ يمكن القول بأنه كلما تحقق التضامن الميكانيكي كلما برزت الذاكرة الجماعية التي فيها تتلاحم كل أفراد الجماعة. إن من المضامين التي تتدخل في نقل القيمة الثقافية إلى الحيز التبادلي تلك المتعلقة بالممارسة الاجتماعية. إن الممارسة الاجتماعية باعتبارها مجموع النشاطات الحياتية و التي تخضع لنسيج من العلاقات في المجموعة الواحدة و التي تحكمها ضوابط تجسدها النظم و الأعراف و التقاليد ، يظهر نتاجها في قالب تتفاعل فيه القيمة الثقافية كأحد المرجعيات الأساسية لممارسة الأفراد ،كموجود ثقافي cultural input ، وتظهر القيمة التبادلية و التي قد تفرز عن مظهر اقتصادي كناتج عن هذه الممارسة كمنتج أو مخرج ثقافي cultural output ، و منه يمكن التعرف على البعد التبادلي للمعطي الثقافي. لقد اهتم الأنثروبولوجيون بالرباط القائم بين الممارسة الثقافية والمعطيات الملموسة المنتجة من طرف المجموعة ذلك باعتبار الثقافة "الطريقة المهيكلية للتفكير، والإحساس و الاستجابة لمجموعة إنسانية و التي تظهر في شكلها المادي و اللامادي والذي يعكس الخبرة المكتسبة و الرموز المشتركة و يعبر عن قيمة الموروث الثقافي من خلال العناصر الملموسة المنتجة من طرف الأفراد" (Brabet , J , 1993) .و في هذا الصدد يؤكد ف المفكر مالك بن نبي على هذه العلاقة و يزيد معتبرا تكون رأس المال الثقافي بما تبنيه القيم ، إذ أنه يعتبر الثقافة " مجموعة من الصفات و القيم التي يلقيها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي يشكل فيه الفرد طباعة الشخصية " (بن نبي مالك ، 1979) . يحدد الفهم الأنثروبولوجي الاقتصادي الممارسة الثقافية، عموما ، على أنها طريق متميز لحياة الجماعة حيث أن لكل ممارسة علاقات ضابطة، فإن لكل مجموعة بشرية حاجيات و ممارسات وعلاقات تميز أفرادها و تربطهم ببعض، كما أن

لها علاقات و ممارسات تربطها مع مجموعات أخرى، و هي في عمومها تركز على عوامل تراثية تاريخية ، فكرية عقائدية ثقافية و معاشية، و كل إنتاج بشري فهو انعكاس لهذه الحاجيات والممارسات و العلاقات، و باعتبار ما لهذا الإنتاج من تأثير مباشر في صياغة ممارسات وعلاقات و حاجيات جديدة للمجتمع ، فإن هناك جدلية قائمة بين الممارسة - كسلوك - والمعطى الذي تخلفه سواء كان ثقافيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا . و خير إطار يدل على هذه المقاربة هو ما تعكسه الممارسة الثقافية عبر الاحتفاليات المحددة أطر و وسائل الاستهلاك بغية تحقيق الرضى النفسي والديني والثقافي و التوافق الاجتماعي و تداخل الاعتبارات المادية و الروحية في عملية الاستهلاك، وبذلك تتحدد أطر و أنماط الاستهلاك وفق تفاعل الأفراد مع النظم الثقافية السائدة، حيث يظهر سلوك الاتفاق و التجاوب مع المعروضات المختلفة من السلع الاستهلاكية لإشباع الحاجات المختلفة و الرغبات المتعددة للفرد والجماعة. وليست الحاجات البيولوجية هي الدافع الأوحد لعملية الاستهلاك، بل إن الحاجات الروحية والمعنوية تفرض نفسها بغية تحقيق الرضا و الإشباع الذاتي، وبذلك تظهر أنماط الاستهلاك المادي والروحي كمحددات نهائية لاقتناع الفرد بضرورة مَدِّ أوأصر الصلة مع الروافد و المناهل الحضارية والثقافية وتأكيد الانتماء الاجتماعي و الارتباط بالمقومات الثقافية للجماعة و كذا تأكيد حضور الذات الثقافية في التنمية والحفاظ على المكتسبات الاجتماعية وتحقيق الاستمرارية الحضارية للجماعة.

2- الانتاج الثقافي: الإنتاج هو نشاط اقتصادي يقتضي تصافر الخدمات الإنتاجية بنسب معينة و ذلك لتحويل الموارد من حالة تكون فيها غير صالحة لإشباع هذه الحاجات ، إلى حالة قابلة للاستهلاك. النشاط الاقتصادي هو مجموع الأنشطة الاقتصادية التي تقوم بها المنشآت المنتجة للسلع و الخدمات في المجتمع، أي يساوي مجموع العمليات الإنتاجية في المجتمع خلال فترة زمنية معينة. وجيعه عبد الرسول، (1983) ، و يمكن أن نتصور اختلاف هذه النسب التي تبرز بها الخدمات الإنتاجية في كل نشاط اقتصادي و ذلك لاختلاف طرائق الفن الإنتاجي من ناحية و اختلاف درجة و قابلية الاختلاف بين الخدمات الإنتاجية من ناحية أخرى، و لكن مع هذا فإن جوهر العملية الإنتاجية واحد و هو

تضافر و تلازم بين عناصر الإنتاج لتحقيق الوفرة من السلع و الخدمات. فالإنتاج يعني خلقاً لمنافع المواد و ليس خلقاً لهذه المواد، و يتخذ خلق المنافع كما هو معروف طرق عدة منها تحويل المادة من شكل إلى آخر أو من نقطة زمنية إلى نقطة زمنية أخرى أو من المنتج إلى المستهلك، وكمثال تطبيقي فتحويل الدقيق إلى خبز هو نشاط إنتاجي لأنه يطلق عليه "منفعة شكلية" و نقله من المخبزة إلى محل البيع يعد نشاطاً إنتاجياً لأنه يخلق منفعة يطلق عليها "منفعة مكانية"، و توسط التاجر بين منتج الخبز و مستهلكه والخبز يعد نشاطاً إنتاجياً لأنه يخلق منفعة جديدة تجعله صالحاً لإشباع حاجة المستهلك منه، حيث يصبح الخبز في متناول يده و تخزين السلعة أي نقلها زمنياً ، و يعد ذلك نشاطاً إنتاجياً لأنه يخلق منفعة يطلق عليها "منفعة زمنية" يتم استهلاك المادة في غير وقتها الحقيقي بفوائد إضافية. إن العملية الانتاجية تختص بمميزات مختلفة إذا تعلق الأمر بالسلع الثقافية ، فالسلعة الثقافية هي نتيجة لقوة عملية يقوم بها العامل الثقافي ، و تعكس في بنيتها قيمة ثقافية، و يكون عرضها بما يفي متطلبات الحياة الثقافية ، و المعيار الأساسي الذي يسمح بتعيين الطابع المنتج أو غير المنتج للإنتاج الثقافي هو إمكانية إبداع قيمة إضافية غير اقتصادية أو بيولوجية مصطفى بو تنفوش ، (1984)، و بذلك فيتمكن العامل الثقافي من اختيار القيمة الإضافية للمنتوج ذو الطابع الاستهلاكي الثقافي. فإذا أخذنا مثال لأداء المغني و الذي هو عمل ثقافي فهو إنتاج خدمة ترفيه أو تمجيد أ غير ذلك ، فيتعلق أساساً قبل الإنتاج بمراحل مهمة منها : عمل إنتاجي (شركة اسطوانات) تلحين ، كتابة موسيقية ، تسويق.أو عمل غير إنتاجي (عمليات غنائية ثقافية) ، إمتاع الجمهور ن قضاء وقت في مناسبة ، إحياء ذكرى ، فيمكن استهلاكه بطرق متعددة من طرف المؤسسات المالية أو الصناعات التسويقية أو عامة الناس (حفلات غنائية مجانية في المحلات الكبيرة) واستناداً إلى الملامح المذكورة و المتعلقة بالمنتوج الثقافي فإن هذا النوع من السلع يخضع إلى مختلف المراحل التي تخول المنتوج الثقافي من بضاعة بسيطة تمر بحلقات إنتاج حتى تصبح بضائع ثقافية.

2 - مفهوم رأس المال الثقافي:

إن من بين أهم المساهمات العلمية التي جلبت مفهوم "الرأسمال الثقافي" إلى الضوء، تلك التمهيدات التي أنجزت على يد العديد من الباحثين الذين اتجهوا إلى الاهتمام بالثقافة كحامل لوازع القيم التي يشترك فيها الأفراد و التي تنعكس في ممارساتهم اليومية. أمثال مثل "كاريي جيمس" (1997) و "مويران" (1996) و كاروثرز (2000) و آخرون ممن ركزوا على البعد التعبيري لما هو مخرجات ثقافية و ما تفيده من معاني تعكس هوية المجتمع و آخرون اعتمدوا على التطبيقات الأنثروبولوجية الميدانية و التي خلصت في عمومها إلى أن المتغيرات الثقافية هي عناصر أساسية تؤثر في المعطيات الاقتصادية Carrier, J. ، (1997) و Carruthers, B. S. Babb (2000)، و أن للثقافة أثر كبير في تكوين السلوك التبادلي لدى الأفراد و تحقيق الإشباع Agnew, J. (1993). و من الباحثين الذين ساهموا في توطيد الدراسة الحديثة للمجال الاقتصادي في الاهتمام الأنثروبولوجي، في وصف العناصر الثقافية كمحرك يؤثر على المستوى الاقتصادي Carrier, J و J. Heyman (1997) ، لكن كل هذه الطرحات أخذت مضمارا جديا بموجب مناقشة "بيير بورديو" المكونات الثقافية التي تتمثل في تراكم يجسد رأس المال الثقافي في المجتمع خاصة في P Bourdieu (1977). حيث تعرض إلى هذا المفهوم خلال مناقشته لفكرة إعادة الإنتاج و أوضح أنه لا يمكن إهمال الجانب القيمي و الثقافي الذي يميز أفراد المجتمع في المعادلة الإنتاجية، و كان ذلك بعد تطبيقات أجراها على أرض الميدان، إذ حاول "بورديو" تحليل جميع أفعال إعادة الإنتاج من خلال دراسته للنسق المدرسي ووظيفته و أثره الإنتاجي في المجتمع محاولا إدخال مفاهيم للتفسير مثل: الرأسمال الثقافي، استراتيجيا إعادة الإنتاج، و غيرها من المتعلقات السوسيوقافية التي ينتج عنها من مخرجات مادية و غير مادية. إن محاولة بورديو، و رغم أن المصطلح "رأسمال ثقافي" قد استعمل في مختلف الأبعاد بالنسبة للعديد من الباحثين. جعلت هذا المفهوم ينال اهتماما أكبر و استعمالا بارزا في الإطار السوسيولوجي والدراسات الثقافية تبعا لما قدمه بورديو في دراسة هذا المضمون و بالذات انطلاقا من تعريفه للأشخاص كموردين لرأسمال ثقافي بموجب اكتسابهم لكفاءة في المجتمع Mahar, Cheleen و آخرون (1990). بالنسبة "لبورديو" ، هذا النوع من رأس المال محقق في ثلاثة حالات: حالة التجسد (embodied state) ، و هي الحالة الأولى لرأس

المال الثقافي أي المرحلة التي تتجسد عندها الطاقة الفكرية و الثقافية و الكفاءة و المهارة لدى الأشخاص، و التي تكون مادة أولية و منطلقا لتجسد الحالة الثانية (objectified state) و هي الحالة الظاهرة أو المرئية أي حين يتحول رأس المال الثقافي إلى سلع ثقافية مثل: اللوحات الزيتية ، الآلات الموسيقية ، الكتب ، الآلات (Bourdieu, Pierre 1986). و الحالة الثالثة و هي حالة التأطير المؤسساتي (institutionalized state) حين يرسم الرأسمال الثقافي و يعترف به في شكل الشهادة الأكاديمية من طرف المؤسسة الثقافية و العلمية. و يعتبر بورديو بأن الحالة الأولى هي أهم الحالات . حيث يقول بأن معظم مكونات رأس المال الثقافي إنما يمكن استقراؤها من كون أنها ، و في حالتها الأساسية ، متصلة بالاستعدادات المتجسدة في الأشخاص. من هنا يظهر جليا بأن مفهوم رأس المال الثقافي مثلما هو معروض من قبل بورديو ، هو في شكله العام قريب ، إذا لم نقل مشابه ، لرأس المال البشري كمفهوم أساسي في الاقتصاد Robbins, Derek (1991). زيادة على ذلك ، فقد تطورت الدراسات تطبيقيا ، حيث أقيمت عدة بحوث و اختبارات إمبريقية لتشخيص هذا المفهوم ، و اعتبرت هذه الدراسات أنه يجب التركيز على آثار التعليم و التربية لتأثيرهما على المخرجات الاقتصادية و الاجتماعية . في هذا المستوى ، بموجب لمس العلاقة بين الفرد و المجتمع ، فإن فكرة رأس المال البشري ، تطفو بالتوازي مع فكرة رأس المال الاجتماعي ، و مثلما هو معرف ، و ليس من طرف بورديو فحسب ، و لكن كذلك من قبل علماء آخرين في الاجتماع و الدراسات الثقافية و الاقتصادية. فعلى سبيل المثال، فقد عالج Zweigenhaft أثر رأس المال الثقافي و الاجتماعي على أداء متخرجي الجامعات ، و اعتبر رأس المال الثقافي بعدا يتضمن مختلف القدرات و المهارات المكتسبة و المعارف و، و اعتبار رأس المال الاجتماعي ، كإطار يتضمن كفاءة تبعا إلى طبيعة الوسط الاجتماعي و ما يظهر به من خصوصيات التي تطبعه (Zweigenhaft, Richard, L. 1993). إن رأس المال الثقافي، حسب Throsby D.C يتضمن كل الموجودات التي تحمل قيمة ثقافية (Throsby, David 1995). و حسب Hicks ، (1974) فإنه يتم التمييز تقليديا بين ثلاثة أشكال أساسية لرأس المال . فالأول هو رأس المال الملموس أو المادي (Physical capital) و معناه كمية السلع الحقيقية مثل النباتات ، الآلات ، البنائيات ، الخ. و التي

تساهم في إنتاج سلع أخرى ، لقد عرف هذا النوع و درس منذ بداية علم الاقتصاد. بعد ذلك تم تمييز شكل آخر هو الرأسمال البشري و (Human capital) هذا انطلاقا من فكرة أن تجسد الخبرة و الكفاءة في الأشخاص هي بمثابة رأسمال له نفس الأهمية بالمقارنة مع الرأس مال المادي في الإنتاج الاقتصادي، و بعد ذلك و بالنظر إلى الوعي المتزايد بأثر المشاكل الناتجة عن المحيط على النشاط الاقتصادي، تبنى الاقتصاديون ظاهرة رأس المال الطبيعي (Natural capital)، و الذي يعني الموارد المتجددة و غير المتجددة و التي مصدرها الطبيعة بالنظر إلى العملية الإيكولوجية التي تتحكم في وجودها و استعمالها. Becker, Gary S. (1994). رغم أن فكرة 'الطبيعة' كمورد للخدمات يمكن اعتبارها كفكرة مشتقة من الاقتصاد السياسي الكلاسيكي في اهتمامهم بالأرض كعامل إنتاج و كانت كذلك مهمة بالنسبة لمارشال و الكلاسيكية الجديدة El Serafy, Salah (1991)، دراسة رأس المال الطبيعي و خاصة دوره المستدام هي فكرة حديثة كانت تندرج تحت غطاء تخصصات الاقتصاد الإيكولوجي Costanza, Robert (1991) . و بالنظر إلى الترابط الكبير بين رأس المال الثقافي كما هو متعرف عليه في علم الاجتماع و رأس المال البشري كما هو مفهوم من قبل الاقتصاديين، فإنه من الجدير أن نتساءل إلى أي مدى يمكن ربط رأس المال البشري بالثقافة . في بعض الأحيان تقوم التعاريف الاقتصادية لرأس المال البشري بتضمين واضح لعنصر الثقافة كمكون أساسي لها. فعلى سبيل المثال يقدم Costanza و Daly (1992) تعريفا لرأس المال البشري على أنه "ذلك الكل الذي يضم التعلم و المهارة و الثقافة و المعرفة المخزنة في الأفراد أنفسهم". Costanza, Robert and Daly, Herman E. (1992). بعض من الاقتصاديين في بحثهم لرأس المال البشري قد اعتبروا الوازع الثقافي هو مهم في التعريف بهذا الإطار و خاصة في جانبه التطبيقي الإجرائي في تفسير العديد من الظواهر المتصلة بالاقتصاد ، و استعمل بذلك العنصر الثقافي في كثير من أحيان لتفسير الظاهرة الاقتصادية Chiswick, Barry (1983). و عند تفحص ماهية رأس المال الثقافي يمكن أن نقف عند تعريفين هامين هما ما اقترح من قبل Berkes و Fikret و Folke (1992). إذ يوطران العلاقة بين رأس المال الطبيعي Natural و رأس المال المادي Physical ، من منظور نظامي ، و يدعوان إلى ضرورة اعتبار وجود "بعد ثالث"

Berkes وآخرون (1992) ، و الذي من خلاله يمكن استعمال رأس المال الطبيعي لخلق رأس مال مادي . يستعمل كل منهم مصطلح " رأس المال الثقافي" للإشارة إلى قدرة الإنسان الكامنة و كفاءته في التعامل مع المحيط و التأثير فيه " . و يعبر "دافيد ثورزبي" عن هذا التعريف بأنه "يقدم نظرة عن أهمية للقدرة الإنسانية الفطرية و كذلك الكفاءة المكتسبة و التي تؤثر في القدرة الإنتاجية كما و نوعا " (Throsby, David (1997) .

لقد صيغ المفهوم الجديد "رأس المال الثقافي كذلك في كتابات المفكر الأمريكي "فرنسيس فوكوياما" حيث انتشر هذا المصطلح بشكل لافت في كتاباته وخصوصا بعد صدور كتابه "نهاية التاريخ" سنة ، 1989 و كتاب الثقة سنة 1995 و الذي عالج فيه دور الثقافة والفضائل الاجتماعية في تحقيق الازدهار الاقتصادي ، و لقد عمل جاهدًا للتوصية بهذا المجال سنة 1999 مظهرًا أهمية مهمة الجيل الثاني في إصلاح الاقتصاديات النامية.

3- رأس المال الثقافي المادي اللامادي : Tangible and intangible cultural capital

أولا ، اعتبار رأس المال الثقافي كظاهرة اقتصادية يوضح العلاقة بين القيمة الثقافية و القيمة الاقتصادية . لو وصفنا مثالا عن رأس المال الثقافي الملموس كالمبنى الذي له قيمة تراثية و تدخل في الموروث ، إذ يمكن أن يكون للأصل قيمة اقتصادية ، و الذي ببساطة وليد الوجود الفيزيائي المادي للبنائيات بغض النظر عن الاعتبار الثقافي . و القيمة الاقتصادية للأصل في تزايد تبعا لقيمتها الثقافية . من هنا تطفو العلاقة السببية و التي تتجلى في أن القيمة الثقافية تغذي القيمة الاقتصادية . فمثلا ، يمكن للإفراد أن يرغبوا في دفع ثمن المحتوى الثقافي الموجود embodied cultural content لهذا الأصل بواسطة إعطائهم له سعرا أعلى من ذلك السعر الذي يقترحونه كثمن للشكل المادي لوحده . رأس المال الثقافي غير المادي intangible cultural capital من جهة أخرى ، يفرض روابط مختلفة بين القيمة الثقافية و القيمة الاقتصادية . الكم الموجود من عمل موسيقي أو أدبي ، و التراكم الموجود بوجود العناصر المكونة للثقافة كالعادات و المعتقدات ، و التراث اللغوي له قيمة ثقافية كبيرة ، ولكن كل هذه الموجودات تبقى

بدون قيمة اقتصادية من منطلق أننا لا يمكن أن نسوقها اقتصاديا كأصول بالرغم من الخدمات التي تفرزها تحقق قيم ثقافية و اقتصادية. القيمة الاقتصادية للأشياء هي موجودة في قالب مادي بحث و الطلب عليها يرجع إلى وازع سلوكي اقتصادي تقوده المنفعة - مثل المنفعة المتحققة من اللغة كعنصر تواصل ، أو استعمال الموسيقى عند تحرك الآلة أو مثلا المصعد . فالخدمات التي تفرزها الأصول الثقافية هي بدورها ناتج ثقافي تحدد قيمته بالنظر إلى المتغير الثقافي . تقترح هذه الاعتبارات أنه بموجب العلاقة الشرطية بين القيمة الثقافية و القيمة الاقتصادية و كل منهما تؤثر في الأخرى ، حيث أن علاقة الارتباط correlation بينهما هي مظهر يجب الأخذ به عند تقييم المنتج الثقافي .

من جهة أخرى ، فلقد اجتهد الاقتصاديون أن يوسعوا النماذج الكلاسيكية الجديدة في الاقتصاد المهمة بما هو تراكم رأسمالي مادي بالدرجة الأولى و جنحوا إلى اعتبار المتغير الثقافي كأحد المستويات الحيوية و التي لها تأثير في النماذج الانتاجية و الاستهلاكية . لقد بينت الدراسات أن رأس المال البشري هو مهم في خلق العامل التكنولوجي و اعتبر هذا الأخير مهما في نماذج النمو، و أضيف راس المال الطبيعي لاحتواء كل المتغيرات المحيطة بالإنسان و الفاعلة و المؤثرة في النمو . و كما أدرج David Throsby ، (1999) ، يمكن تمثيل رأس المال الثقافي في المعادلة الآتية :

$$K_{t+1}^c = K_t^c + (I_{mt}^c - d_t K_t^c) + I_{nt}^c .$$

فإذا كنا نفرض امتلاك K_t^c موروث كمخزون لرأس مال ثقافي في الزمن t . مع ملاحظة احتمال تعرض أن هذا المخزن إلى التدهور I_{mt}^c عبر الزمن t depreciation و نرسم إلى التدهور برمز d_t ، و الذي يتطلب إنفاقا استثماريا من أجل الصيانة .

4- الرأسمال الثقافي و المؤسسة :

لما للمكونات الثقافية ، وعامل المعرفة و التقنية و الكفاءة الإبداعية و الفنية و الذهنية المخزنة لدى الإنسان ، ميزة تنافسية تفرض نفسها على المستوى التبادلي، كان لزاما

على المؤسسات الأخذ بعين الاعتبار هذا الجانب لبلوغ النجاح ضمان مكانتها فيما يخص مستوى العمل و جودة الإنتاج و الصورة التجارية التي تمثلها .و لا شك أن النجاح الاقتصادي بدرجة كبيرة باستقطاب واختيار وتطوير وتنمية الأفراد النشطين في حقل عملهم ، و يمكن القول بأن المؤسسة الإنتاجية الناجحة هي التي تهتم بعمالها بالسهر على حاجاتهم ورغباتهم ،و تستثمر مختلف المعطيات المحيطة في بيئتها بفلق بات من المهم اعتبار هذا الجانب و لا سيما فيما يتعلق بتطوير مهارات العاملين و تدريبهم و تحسين مستواهم . و لقد أدت التطورات والتغيرات في البيئة إلى التحول من التركيز على الأموال باعتبارها أهم الأصول في المنظمة إلى عامل المعرفة و الخبرة و المكتسبات الثقافية و التي تعتبر أهم وأعظم المدخلات لنجاح المؤسسة Ulrich (1998).

لقد كانت المحاسبة التقليدية تركز على الأصول المادية القابلة للتحويل إلى نقدية خلال دورة النشاط مع إهمال بعض الأصول غير الملموسة أو المعنوية المتمثلة في النظم الداخلية ، العملاء ، رأس المال الثقافي ، و منه فقد أدى هذا التحول إلى إدراك الباحثين لأهمية الاستثمار في العنصر البشري وزيادة معرفته كغيره من الأصول غير الملموسة الأخرى مثل سمعة المنظمة ، المناخ التنظيمي ، الرضا الوظيفي ، خدمة العملاء ، الابتكار والإبداع Chiavenato (2001) و يستحوذ رأس المال الثقافي، الذي يعبر عن الأصول غير الملموسة في المنظمة على اهتمام كبير في الوقت الحاضر من حيث مفهومه ، عناصره ، وتحديد قيمته ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها: أن قياس الأصول غير الملموسة يساعد الإدارة على أن تركز اهتمامها على تنمية وحماية رأس المال الثقافي كما أنها تدعم هدف المنظمة الخاص بزيادة قيمة الأسهم ، بالإضافة إلى المساعدة على زيادة كفاءة أسواق رأس المال من خلال تزويد المستثمرين الحاليين والمرتقبين بمعلومات أفضل ، ومن ثم تخفيض التقلبات إلى الحد الأدنى مما يؤدي إلى تخفيض تكلفة رأس المال في الأجل الطويل . ويلعب رأس المال الثقافي بعناصره المختلفة دوراً هاماً في نجاح المؤسسات في الوقت الحاضر. حيث أنه يميز المنظمات التي يمكنها تقديم منتجات جديدة وبشكل أفضل مع تقديم ابتكارات لمنتجاتها وخدماتها بمعدلات سريعة .

خاتمة :

من منطلق أن الثقافة هي مجموع الأنظمة المادية والروحية التي ابتكرها الإنسان لتحكم سلوكه فيما هو ذاهب إلى الارتقاء بهويته وذاته ونمط حياته والإعلاء من شأن وجوده في الحياة عبر الانخراط في صيرورة هي الثابت الوحيد في هذه الحياة، وعبر الاحتفاظ بأبنية ثقافية تحملها اللغة إلى الأجيال اللاحقة كي تسكنها وتتولى تعديلها أو إعادة إنتاجها وفق حاجاتها وشروط تطورها. الثقافة أوسع من مجرد الإبداع الأدبي والفني أو الفكري، لتصبح حاضنةً لإبداعات وابتكارات جديدة ولوسائل وأساليب وأدوات وطرق عيش، مبتكرة أو منقولة، تشبع حاجة ضرورية أو تكون ، هادفة في كل حال إلى تيسر الأمور وتسيير الحياة وحل المشكلات وحفظ المآثر والمنجزات، وإشباع الرغبات وتلبية الحاجات(عبد الرحمن بسيسو2005) . و هذا يشخص الثقافة كرأس مال له من الأهمية الكبيرة في الحفاظ على الموروث الثقافي من جهة و المساهمة في الدخل و المعاش من جهة أخرى ، و كانت هذه الورقة البحثية محاولة لإلقاء الضوء على المفهوم الشامل بدافع إعطاء لمحة تعريفية و تشخيص قد يغذي فضول الباحث لدراسة هذا الإطار خاصة في جانبه التطبيقي بالاحتكاك مع معطيات الواقع الثقافي للأفراد كمنتجين ثقافيين .

المراجع:

قائمة المراجع باللغة العربية :

- 1- بن نبي مالك : شروط النهضة ، مشكلات الحضارة ، ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شهين ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1979 ص 79-87
- 2- عبد الرحمن بسيسو: الثقافة والهوية "الثقافة ومعركة الدفاع عن الهوية". وزارة الثقافة مشروع الخطة الاستراتيجية للثقافة الوطنية ورشة عمل خاصة بمناقشة مسودة الخطة غزة، 16 نيسان (أبريل) 2005.
- 3- مصطفى بو تنفوش ، العائلة الجزائرية : التطور الخصائص صالحيثة ، ترجمة دمري أحمد ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .1984 ص 57
- 4- وجيعه عبد الرسول العلي ، الإنتاجية - مفهومها-قياسها-العوامل المؤثرة فيها ، دار الطليعة بيروت ، الطلعة الأولى ديسمبر 1983 ، ص 160

قائمة المراجع باللغة الأجنبية :

- 1- Agnew, J. (1993) 'Coming up for Air: Consumer Culture in Historical Perspective', in J. Brewer and
- 2- Allain Denvers. L'environnement dans tous ses états , Edt , N° 1 , Points-choc, Paris , 199
- 3 - Becker, Gary S. (1994) Human Capital. Columbia University Press, New York .
- 4 - Beck, Ulrich (1998) World Risk Society. Cambridge: Polity Press
- 5 -Berkes, Fikret and Folke, Carl (1992) "A Systems Perspective on the Interrelations Between Natural,Human-Made and Cultural Capital". Ecological Economics 5: 1-8.
- 6 - Bourdieu, P. (1977) Outline of a Theory of Practice, Cambridge: Cambridge University Press.
- 7 - Bourdieu, Pierre (1986) "Forms of Capital", in John G. Richardson (ed.), Handbook of Theory and
- 9 -Brabet , J , Repenses la des gestion des ressources humaines , édition economica , 1993, pp 40-41
- 10 - Carrier, J. (ed.) (1997c) Meanings of the Market: The Free Market in Western Culture, Oxford: Berg
- 11 - Carrier, J. and J. Heyman (1997) 'Consumption and Political Economy', Journal of the Royal
- 12 - Carruthers, B. and S. Babb (2000) Economy/Society: Markets, Meanings, and Social Structure,
- 13 -Chiswick, Barry R. (1983) "The Earnings and Human Capital of American Jews". Journal of Human Resources 18: 313-336.
- 14 -Costanza, Robert and Daly, Herman E. (1992) "Natural Capital and Sustainable Development". Conservation Biology 6: 37-46. Reprinted in Robert Costanza (ed.) (1997) Frontiers in
- 15- David G . Raboy , L'économie de l'offre , Edt , Economie , Paris , 1984 ,P,35
- 16 -El Serafy, Salah (1991) "The Environment as Capital", in Costanza (1991).
- 17 -Hicks, John (1974) "Capital Controversies: Ancient and Modern". American Economic Review 64:
- 18 - Idalberto Chiavenato « vances and challenges in human resource management in the new millennium » Public Personnel Management, Vol. 30, Iss. Spring 2001

- 19 - Mahar, Cheleen et al. (1990) "The Basic Theoretical Position", in Richard Harker et al. (eds), *An Introduction to the Work of Pierre Bourdieu: The Practice of Theory*. Macmillan, London.
- Research for the Sociology of Education. Greenwood, New York .P 243-244
- 20 - Moeran, B. (1996) *A Japanese Advertising Agency: An Anthropology of Media and Markets*, Richmond: Curzon. P 284 Thousand Oaks, CA: Pine Forge Press.
- 21 - Polanyi.Karl : Trade Market in the early empires , 1957 , PP 66-77 : cited in Godelier , *Rationalité et irrationalité en économie* P : 152
- 22- Robbins, Derek (1991) *The Work of Pierre Bourdieu: Recognizing Society*. Open University Press,
- 23 -Throsby, David (1995) "Culture, Economics and Sustainability". *Journal of Cultural Economics* 19: 199–206. 301–316 Sustainability.Columbia University Press, New York. *EcologicalEconomics*. Edward Elgar, Cheltenham.
- 24 - Throsby, David (1997) "Sustainability and Culture: Some Theoretical Issues". *International Journal of Cultural Policy* 4: 7–20.
- 25 - Zweigenhaft, Richard, L. (1993) "Prep School and Public School Graduates of Harvard: A Longitudinal Study of the Accumulation of Social and Cultural Capital". *Journal of Higher Education* 64: 211–225.